مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣١/٢٠١٠ هـ.ق، العدد ١٧ (٤) ٩١- ١٠٧

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

في الدّفاع عن نهج البلاغة و الرّد على شبهات الدّكتور شوقي ضيف

تورج زيني‌وند[1]

تاريخ الوصول: ١٤٣٠/١٠/٢١ تاريخ القبول: ١٤٣١/٥/٤

لقد ذهب الدكتور شوقي ضيف في بعض آثاره، إلى أنّ نهج البلاغة من عمل الشّريف الرّضيّ و صنعه، لا من وضع الإمام عليّ (عليه السّلام) و هو يعتمد في هذه العقيده المتذبذبة على أدلّة من داخل نهج البلاغة و من خارجه لإثبات مدّعاه، بل شبهاته.

النّكتة الهامّة الّتي يستنتجها المؤلّف و يصرّح بها تصريحاً، هي أنّ أكثر خطب نهج البلاغة موضوع و محمول على الإمام (عليه السّلام) ولهذا فإنه لايرى الإعتماد على هذا الكتاب أمراً صحيحاً بل يعتقد بالرّجوع إلى المصادر الأولى.

إنّ الكاتب لهذا المقال حاولَ أن يدخل في صميم آراء شوقي ضيف و صلبها، لِيرسمَ تصويراً واضحاً من حقيقتة نهج البلاغة و آراء الدّكتور شوقي. الطريق الذي سَلَكه ضيف في ضوء المنهج الديكارتيّ المعروف، يمتاز بالشّك و التّناقض و الحيرة و التّشاؤم و سوءالظّنّ والخصومة والعصبيّة بلا حجج معتمدة.

الكلمات الرئيسية: نهج البلاغة، شوقي ضيف، الإنتحال.

١. أستاذ المساعد، جامعة الرازي كرمانشاه.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

تمهيد

لم يكن التشكيك من قِبَل بعض المتأخّرين أو المحدثين أو المستشرقين، مقتصراً على الشعر الجاهليّ وحده، بل تسّربت هذه الفتنة الكبرى إلى كلّ ما يمتّ إلى الأدب العربيّ والثّقافة الإسلاميّة بصلة و شملت جميع تراث هذه الأمة. فهذه المأساة الثقافية أخذت تشملُ ما رُويَ عن النّبي (ص) و أهل بيته الطّاهرين (عليهم السّلام) دون التمحيص و الإعتدال. و ما كانت النّتيجة الّتي تمخّضت عنها إلاّ التّفرقة والحيرة والإضطراب و الإختلاف فيما رُوي عن روّاد الحضارة الإسلامية.

وليس معنى هذا كلّه أنّنا ننكر الوضع أو الإنتحال في التراث العربيّ والإسلاميّ بل نقصد من هذا البحث أنّ الدّراسة فيما يرتبط بتراث هذه الأمّة، تحتاج إلى العلم، و التنقيب، والدّقة، والحيادة.

و هذا هو الأستاذ «لبيب بيضون»، مؤلّف «تصنيف نهج البلاغة»، يؤيّد رأينا قائلاً:

«و من المؤكد أنّهم [المستشرقين] لم يقوموا بهذه المهمّات الجسام إلاّ لتقديرهم لقيمة هذه الكتب و قيمة ما تنطوي عليه من علوم و معارف و أفكار و مباديء... بيد أنّ هذا لم يخلُ من التّحرف المقصود لبعض الأفكار و من التشكيك المتعمّد في بعض المبادئ، كجزء من الخطّة الّتي يعمل الغرب على تحقيقها، و هي تمييع تراثنا الفكريّ والحضاريّ و قطع الصّلة بيننا و بينه، حتّى ننفض أيدينا من أي محتوى حضاريّ و تاريخيّ، قد يكون ركيزة لنا يوماً من الأيّام إلى نهضة مشرفة شاملة.

إنّ أعمال هؤلاء المستشرقين و أمثالهم على جانب كبير من السّوء و الخطر، بيد أنّ التبعة في ذلك علينا أكبر و أمرّ؛ لأنّ الإهتمام بتراثنا و المحافظة عليه هو من واجباتنا الأساسية، و لوكنا قمنا بذلك لما فسحنا المجال لغيرنا للتلاعب والعبث بتراثنا و تشويه حقائقنا و معتقداتنا (بيضون، ١٤٠٨ هـ.ق: ٤٣).

إنّا وجدنا عبارات من بعض هؤلاء المستشرقين الّذين مّر ذكرهم، تثبتُ هذه الحقائق التى ذكرناها، إثباتاً قاطعاً؛ فانظر إلى «كارل بروكلمان» حيث يتحدّث عن أدب الإمام (عليه السلام) كيف يعبّر عن أدبه؛ «أدب علويّ منحول» (بروكلمان، ١٩٥٩، ج١: ٢٤٥؛ أيضاً أنظر: ج٢: ٣٨١)

أو إقرأ ما يشير إليه الأستاذ «زكي مبارك» في المستشرق الفرنسيّ، المسيو ديمومبين، الذي أشرف أطروحته الجامعيّة (النثر الفّنيّ في القرن الرابع) بمرحلة الدّكتورا في جامعة باريس:

«وقد أراد المسيو ديمومبين (Demombynes) أن يغض من قيمة نهج البلاغة لعليّ ابن أبى طالب من خطب و رسائل، استناداً إلى ما شاع منذ أزمان من أن الشّريف الرضيّ هو الواضع لِكتاب (نهج البلاغة) أمّا نحن فنتحفّظ في هذه المسألة كلّ التحفّظ؛ لأنّ الجاحظ يحدّثنا أنّ خطب عليّ و عمر وعثمان كانت محفوظة في مجموعات [البيان والتبيين، ج١: ١٤٧و أيضاً؛ الجاحظ؛ ١٩٩٨م-١٤٠٨ هـ.ق، ج١: ١٧٦]. و معنى هذا أن خطب عليّ كانت معروفة قبل الشّريف الرّضيّ. والّذين نسبوا نهج البلاغة إلى الرّضيّ يحتجوّن بأنّه وضعه لأغراض شيعيّة، فلم لا نقول من جانبنا بأنّ تهمة الوضع جاءت لتأييد خصوم الحملات الشيعية» (مبارك، ١٣٥٢هـ-١٩٣٤م، ج١: ٦٩).

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

و بَعدُ؛ فلم ندخل هذا الموضوع إلاّ تمحيصاً و تحقيقاً فيما ذهب بعض من النقاد الّذين يعتقدون أنّ نهج البلاغة من صنع الشريف الرّضي أو أخيه المرتضى و هم يعتمدون في تلك العقيدة المنحرفة الشاذّة على براهين متعدّدة.

ومن جملة هؤلاء الّذين جعل التشكيك الديكارتي أساساً في دراساته هو الأديب المصري المعاصر، الدّكتور شوقي ضيف، صاحب التأليفات الكثيرة في مجال الأدب و التاريخ. لقد ذهب في كتابيه؛ «تاريخ الأدب العربى؛ العصر الإسلامى»، و«الفنّ و مذاهبه في النثر العربيّ» إلى أنّ نهج البلاغة من عمل الشريف الرضيّ و صنعه لا من وضع عليّ (عليه السّلام).

و من الجدير بالذكر أنّ الدّكتور ضيف، و ليس في هذا المجال وحده، بل في أكثر آثاره الأدبيّة يطعن في ما ينتمي إلى الشيعة والأدب الشيعيّ. و هو في كثير من الأحيان يميل عن الإنصاف والحيادة.

و لم يكن ضيف وحده هو الّذي تأثر بالمنهج الدّيكارتيّ أو دخل في سجن من العصبيّة، بل هناك عدد كبير ممّن نهجوا منهجه و حذوا حذوه و تردّدوا في صحة نهج البلاغة. مثل؛ أحمد أمين (١٩٦٩ :١٤٨-١٤٩)، و جرجى زيدان (١٩١١-١٩١٤م، ج٢: ٣٣٣)، و خيرالدين الزركليّ (الأعلام، ج٤: ٢٧٨)، و عبّاس محمود العقاد (بدون تاريخ:٩٨-١٠١)، و احمد حسن الزيّات (٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ: ٢٠٨-٢٠٩) و حنّا الفاخوريّ (١٣٨٠هـ.ش:٣٢٢) و...

يبدو أنّ أوّل من طرق هذا الموضوع من القدماء هو «ابن خلّكان» (٦٨١هـ.ق) صاحب وفيات الأعيان (ج٣ :٣١٣) الّذى مهّد بهذا الأمر، الأرضيّة المناسبة للّذين حرّفوا الحقيقة من مواضعها و شككوا في صحة نهج البلاغة. مثل؛ اليافعي (٧٨٦هـ) صاحب (مرآة الجنان، ج٣: ٥٥)، و ابن العماد (١٠٨٩هـ) صاحب (شذرات الذّهب، ج٣ :٢٥٧)، و الذّهبي (٧٤٨هـ) صاحب (ميزان الإعتدال، ج٣: ١٢٤)، و ابن حجر العسقلانيّ (٨٢٥هـ) مؤلّف (لسان الميزان، ج٤: ٢٥٦)، و ....

أمّا خلاصة القول في البراهين الّتي يعتمدون عليها فهي؛

١.جاء في نهج البلاغة مِن التعريض بالصّحابة ما لايمكن صدوره عن مثل الإمام علي (عليه السّلام).

٢.في الكتاب من الأفكار العميقة، المعقّدة، و استعمال المصطلحات الفلسفية كالأين و الكيف ونحوهما، و استعمال الطّريقة العددية في شرح المسائل و في تقسيمات الفضائل أو الرذائل، و الدّقة في الوصف، و استفراغ صفات الموصوف- كما في الكلام على الطّاووس و النّملة و غيرهما- ممّالم يوجد في عصرعليّ (عليه السّلام)، و لم يعرف عند العرب إلاّ بعد ترجمة كتب اليونان و الفرس الفلسفية والعلمية.

٣. في الكتاب من السّجع و التنميق اللفظي و آثار الصنعة، ما لم يعهده عصر عليّ (عليه السّلام)، و إنّما طرأ على أساليب الكتابة في أواخر العهد الأمويّ و في العهد العبّاسيّ.

٤.في عبارات الكتاب ما يُلمس منه ادّعاء صاحبه علمَ الغيب، و هذا أمر بعيد من رزانة عليّ (عليه السّلام) و عن أخلاقه الرفيعة (الفاخوري، ١٣٨٠هـ.ش: ٣٢٢-٣٢٣).

فأنكر كثير من المتأخّرين و المحدّثين براهين أصحاب هذا الرأي و ألّفوا كتباً ذات قيمة في الرّد على هؤلاء و فى تبيين أسناد كلام عليّ (عليه السّلام) قبل الشّريف الرّضيّ مثل؛ امتياز علي خان عرشي صاحب (أسناد نهج البلاغة)، و هبة الدين الشهرستاني (ما هو نهج البلاغة)، و الشيخ هادي آل كاشف الغطاء (مدارك نهج البلاغة)، و

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

عزيزالله العطاردي (جامعو كلام عليّ (عليه السّلام)، و محمد مهدى الجعفريّ (دراسة في أسناد نهج البلاغة)، و محمدحسين آل ياسين (لمن نهج البلاغة)، و عبدالزهراء الحسينيّ (مصادر نهج البلاغة و مداركه)، رضا الأستاذي (بحث حول مصادر نهج البلاغة)، و ابن أبى الحديد (شرح نهج البلاغة)، و العلاّمة ميرزا حبيب الله الخوئي (شرح نهج البلاغة)، و آية الله حسن زاده (تكملة المنهاج في تكميل شرح الخوئي) و محمد باقر المحمودي (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة) وعبدالله نعمة (مصادر نهج البلاغة)، وعزيزالله العطاردي (شرح نهج البلاغة) و أخيراً محمد دشتي (مناهج البحث في أسناد نهج البلاغة). و هذا غيضٌ من فيض ما صُنّف في هذا المجال.

و بعد هذا، و قبل أن نخوض في صميم البحث لابدّ لنا أن نلفت النَّظَر إلى نكات هامة حول سابقية البحث و أهميته ثمّ المستجدات الّتي تجدر الإشارة في هذا المقال:

الأولي: أنّني لم أقف على مقالة أو تأليف أو بحث أو كلمة علمية إلّا ما سمعتها عن الأساتذة في الجامعات و هى تنبّه على شبهات الدّكتور ضيف فقط، لا في هذا المجال خاصة، بل في جميع ما يمتّ إلى الأدب الشيعيّ عامّة، رغم أنّ كتبه المختلفة تنتشر و تدرس في الجامعات العربية والإيرانية كمصدر تعليميّ أكثر من أربعين عاماً.

و من هذا المنطلق، «طَفِقْتُ أَرْتَأي بَينَ أَنْ» أتّخذ موقف الحيادأو «أَصْبِرَ عَلى طَخْيَةٍ عَمْياءَ» فرأيتُ أنّ البحث عن «هَاتَا أَحْجَي» و أحسن. فأخذتُ أكتب و في العين والقلب بل في كلّ كياني، عزم وحبّ وودّ ودقّة و رجاء.

الثانية: أنّ المنهج الّذى اخترته في دراسة هذا الموضوع، يعدّ منهجاً علمياً يمتاز بالتنظيم والتنسيق والدّقة والحداثة كما لم أكن غافلاً عن مناهج علماء الشيعة في دفاع عن النّهج و أيضاً عن منهج الأستاذ ناصرالدين الأسد حيث يدرس قضية الإنتحال في «مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التّاريخية».

علماً بأنّ المسائل التّاريخية والأدبية، كما يقول أصحاب النقد، لا تعرف الكلمة الأخيرة في موضوع من موضوعاتها.

الثالثة: لقد تبين لنا هذا البحث، عن بعض أخطاء الدّكتور ضيف و منهجه حول حقيقة نهج البلاغة؛ لأنّه جاء يبحث عن النّهج دون أن يستدلّ أو يراعي منهجاً علمياً أو يمنح مسألة ما تستحقّ من الأهمية أكثر من هذا.

١. عرض الموضوع

كما قلت آنفاً إنّ بعض القدماء تردّدوا في صحة انتساب نهج البلاغة إلى الإمام عليّ (عليه السّلام) و مجمل الدّوافع عندهم، كان محصوراً في العصبية، والخصومة والأوهام والميول النّفسيّة دون حجج بالغة. حتّى استقرّ الموضوع بين يدى الأديب المصريّ المعاصر، الدكتور شوقي ضيف، الّذي حشد مادّة بحثه الأساسية من آراء هؤلاء القدماء و تحدّث عنه في إيجاز و انتظام في كتابيه؛ تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامى (١٩٦٣م: ١٢٨)، والفنّ ومذاهبه في النثر العربي (١٩٤٦م: ٦١-٦٣).

أوّل ما يبدو في منهجيّة الدّكتور شوقي، هو أنّه جمع ما تفرّق في المصادر القديمة بحيث كأنّه يحكى و يسرد ما أورده أولئك المؤلّفون دون أن يحلّل آرائهم أو يميّز زائفها من صحيحها أو غثّها من سمينها. إنّه لايقف عند أخبار هؤلاء الروّاد إلاّ أن يدعها و ينقلها إلى غيرها في موقف ديكارتيّ متشكك يبالغ في الرأي والإستنتاج.

و لقد قسّمنا حديث الدّكتور ضيف في هذا المجال إلى قسمين؛ أوّلهما: الدّوافع الّتي دفعته إلى الشّك في صحة نهج

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

البلاغة، و ثانيهما: الأسباب الّتي يعتقد أنّها أدّت إلى النّحل في نهج البلاغة. ثمّ رتّبنا أيضاً آراءه و آراءنا في ردّه ترتيباً مفصّلاً بحيث يقابل كلّ رأي من آرائه ردّاً مفصّلاً منّا.

و النّكتة الهامّة الّتي لابدّ لنا هنا من تسجيلها هي أنّ الدّكتور ضيف في كلامه عن نهج البلاغة، قد أغفل دور الباحثين الّذين درسوا أسناد كلام عليّ (عليه السّلام) قبل الشّريف الرضيّ و بعده، بل اعتمد اعتماداً شديداً على آراء المرتابين الذين تردّدوا في صحة انتساب نهج البلاغة إلى الإمام (عليه السّلام). فهذه المسألة هي ما يُخالف الأخلاق العلمية والإسلاميّة؛ ألم يقل الله عزَّ وجلّ في التنزيل الشريف و هو يؤنّب هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب الّذين كانوا يسمعون الكذب و يحرّفون الكلمات من مواضعها:

«... وَمِنَ الَّذِينَ هادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ...» (المائدة/٤١)

و سنتحدّث عن الحقيقة الّتي كتمها ضيف في هذا المقال دون أن ننكر شخصيّته العلميّة و مكانته السّامية و مقدرته الواضحة في حقل الأدب و التاريخ.

و كما أشرت آنفاً أنّ الدكتور ضيف يحاول فى آرائه أن يعزو و ينسب نهج البلاغة إلى الشّريف الرّضيّ، بل يحاول أن يكتم و يستر مناقب الإمام (ع) و فضائله.

و من المؤسف رغم شروح كثيرة يزيد عددها (بالعربية والفارسية) على أربعين شرحاً (من قِبَل علماء الشيعة و السّنّة) إنّه يؤكد على التّحريف والإنتحال في هذا الأثر القيّم. و لتمييز آرائه عن الآخرين رتبنا أدلّته على نوعين؛١. الادّلة الّتي تعتمد على محتوى نهج البلاغة، ٢. الادلّة الّتي تعتمد على أمورخارجة عنه، كما أجبنا على آرائه و شبهاته في ترتيب مفصّل واضح.

١. الأدلّة الخارجة عن نهج البلاغة

١-١. الإستناد إلى المصادر التاريخيّة: إنّ «ضيف» يستند إلى بعض المصادر التاريخية مثل: وفيات الأعيان، و مرآة الجنان، و شذرات الذّهب، و ميزان الإعتدال، و لسان الميزان، و الرّجال. حيث يخلص إلى القول أخيراً بأنّ يد الإنتحال قد امتدّت إلى نهج البلاغة و أسقطته من الإعتبار:

«أمّا عليّ بن أبي طالب فإنّه لم يكن يقلّ عن أبي بكر و عمر شأواً في خطابته، و قد أثرت عنه خطب كثيرة، و لا نقصد الخطب التى يحتويها بين دفّتيه كتاب «نهج البلاغة» فأكثره مصنوع و محمول عليه. و قد أشار إلى ذلك كثير من العلماء، واختلفوا هل هو من عمل الشريف المرتضى سنة ٤٠٦ للهجرة، يقول ابن خلّكان في ترجمة أولهما بكتاب وفيات الأعيان: «قد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرّضي، و قد قيل إنّه ليس من كلام عليّ، و إنّما الّذي جمعه و نسبه إليه هو الّذى وضعه». و يردّد هذا الكلام اليافعي في مرآة الجنان [مرآة الجنان (طبعة حيدرآباد) ٥٥/٣] و ابن العماد في شذرات الذّهب [شذرات الذّهب (طبعة القاهرة) ٢٥٧/٣]، و يؤكد الذّهبى في ميزان الإعتدال أن الشريف المرتضى هو الّذى وضعه [ميزان الإعتدال (طبعه لكنهو) ٢٠١/٢]، و يذهب مذهبه ابن حجرالعسقلانى في لسان الميزان، يقول: «من طالع نهج البلاغة، جزم بأنّه مكذوب على أميرالمؤمنين عليّ، رضي الله عنه، وفيه من التناقض و الأشياء الرّكيكة والعبارات الّتي من له معرفة بنفس القرشيين الصّحابة و بنفس غيرهم ممّن بعدهم من

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

المتاخّرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل» [لسان الميزان (طبعة حيدرآباد) ٢٢٣/٤]. و يذهب النّجاشيّ المتوفّي سنة ٤٥٠ للهجرة في كتابه «الرّجال» إلى أنّ مؤلّف الكتاب هو الشّريف الرّضيّ [الرّجال (طبعة بومباى) ص ١٩٢، ٢٨٣]، و هذا هو الصّحيح بشهادة الرّضي نفسه و شهادة شراح كتابه، فقد ذكر في الجزء الخامس المطبوع من تفسيره أنّه هوالّذى سمّاه باسمه نهج البلاغة [الجزء الخامس من حقائق التنزيل للشريف الرضي (طبعة النجف) ص١٦٧] كما ذكر ذلك في كتابه «مجازات الآثار النّبوية [طبع بغداد، ص ٢٢، ٤١]، و نجد ابن أبي الحديد المتوفىّ سنة ٦٥٥ في شرحه للكتاب يعترف بأنّ خطبه من عمل الشّريف الرضي [لم أعثر في ذلك الشرح على مثل هذه العبارة]، و يذهب ابن ميثم البحرانى في شرح عليه إلى أنّه من تأليف الشريف [لم أقف على شيءيدلّ على ذلك](شوقي ضيف، ١٩٦٠م: ٦١-٦٢/نفسه، ١٤٢٧هـ.ق:١٢٨].

ثمّ يستنتج ضيف قائلاً:

«و إذن فالكتاب من عمل الشّريف الرضيّ و صنعه، و يظهر أنّه لم يؤلّفه جميعاً، ... (شوقى ضيف، ١٩٦٠م: ٦٢).

١-١. الرّد على شوقي ضيف

إنّ ما يؤخذ على ضيف في ذكر هذه الأقوال هو أنّه لم يكن متفحّصاً و مدقّقاً في نقل آراء هؤلاء العلماء الّذين استند إليهم، بحيث كأنّه يحكي ماسَرَده الآخرون دون تمحيص و بحث. فلهذا يكون من المفيد لنقف لحظات معاً في صميم تلك المصادر و أصحابها في دقّة و وضوح وصفاء:

الألف. نقد قول ابن خلّكان: الأوّل: لقد أقبل صاحب وفيات الأعيان- و مثله اليافعى، و ابن العماد، والذّهبي- على قول لايعتمد عليه في البحوث العلمية حيث يقول: قداختلف النّاس في كتاب نهج البلاغة...» فهناك سؤال أساسي: إلى أيّ ناسٍ يشير ابن خلّكان؟ هل النّاس يستطيعون أن يميّزوا بين الكلام الصحيح والمزّيف في دقّة واستقصاء؟ أم هذه المسألة تحتاج إلى مزيدٍ من الجهد والمراس في البحث والدراسة؟

الثاني: إنّه يقول: «و قد قيل...»؛ لا أدرى كيف لا يعتمد ابن خلّكان على ما قيل في صحة انتساب نهج البلاغة إلى الإمام (ع) و توثيقه بل يعتمد على ما قيل في انتساب هذا الكتاب إلى الشّريف الرّضي. ولسنا في حاجة إلى أن نسأل الدّكتور ضيف؛ كيف اعتمد و عوّل على مثل هذه العبارات التي تفتقد روحَ البحث و العلم والحقيقة؟

فيظهر من كلام ابن خلّكان أنّه لم يقطع بأن نهج البلاغة ليس من كلام عليّ، و إنّما نسبه إلى «قيل»، و معلوم أنّ هذا ليس بمعتقده، و في آخر كلامه خلّص نفسه و قال والله أعلم، يعني هذا الكتاب مورد اختلاف والله يعلم حقيقة الأمر (أنظر: العطاردي، ١٣٧٥هـ.ش:١٤-١٥)

الثالث: ما هي الدلائل أو البراهين أوالمصادر التي يعتمد عليها صاحب الوفيات في ردّ انتساب نهج البلاغة إلى عليّ (عليه السّلام) أو في انتسابه إلى الشّريف الرضيّ؟ هل نشعرُ من رأيه أنّه قصد حجّة أو برهاناً؟

الرّابع: يعجبني كلّ الإعجاب أن الدّكتور ضيف تغافل عن حقيقة اعترف بها صاحب وفيات الأعيان و هي أنّه كان ميّالاً إلى الأمويين عامّة و «يزيد» خاصّة بحيث كان يحفظ و يروي قصائد ليزيد. و ها هو يعترف قائلاً في

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

حديثه حول المرزبانيّ: «و هو [أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيدالله المرزباني] أوّل من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموي واعتنى به، ... و كنتُ حفظتُ جميع ديوان يزيد لشدّة غرامي به، و ذلك في سنة ثلاث و ثلاثين بمدينة دمشق و عرفتُ صحيحه من المنسوب إليه الّذي ليس له، و تتّبعتُه حتى ظفرت بصاحب كلّ أبيات له. و لولا خوف التّطويل لبيّنتُ ذلك. و شعر يزيد مع قلّته، فى نهاية الحسن...» (ابن خلّكان، ١٣٦٤هـــ. ش، ج٤: ٣٥٤). (و كذلك: فوات الوفيات، ج١: ١١٠-١١٨/ النّجوم الزاهرة، ج٧: ٣٥٣-٣٥٥/ روضات الجنات، ج١: ٣٣٠-٣٣٦/ الكنى والألقاب، ج١: ٢٧٣-٢٧٥)

و ما أحسن قول الأستاذ زكي مبارك في هذا المجال حيث يقول: «إنّ تلك الشّكوك [حول نهج البلاغة] قامت جميعاً على أساس الترعات المذهبية...» (مبارك، ١٤٢٧هـــ-٢٠٠٧م، ج١ : ٢٠٧). و لا يخفى على الباحث المتتبّع أنّ بني أمية كانوا يكرهون التشيع و من ينتمى إليه كرهاً شديداً.

الخامس: أنّ الشّريف الرضيّ- و أخاه المرتضى أيضاً- لقد عُرف فى التاريخ بالأمانة والصداقة والعدالة والدّقة والعفّة والأخلاق، فكيف يسند كلام الإمام عليه السّلام إلى نفسه أو يميل عكس ذلك أو يكذّب على الإمام و يحرّف كلامه من بعض مواضعه. فاتهامه الكذب على أميرالمؤمنين في سبيل الترعة المذهبية هو اتهام مردودٌ لا يقبله إلاّ من يجهل أخلاق الشريف (أنظر: مبارك، ٢٠٠٧م. ١٤٢٧هـــ، ج١: ٢٠٧-٢١٣/ بيضون، ١٤٠٨هـــ:٤٢/ العطاردي، ١٣٧٥هـــ.ش: ٢٣-٤٨/ شيخي، ١٣٧٩هـــ.ش:١٩-٢٤).

السادس: و كيف يُعقل أن يؤلّف الشريف أو غيرُه كتاباً ويسنده إلى الآخرين؟

السابع: كيف يسند ابن خلّكان، النهج إلى الشّريف المرتضى، و هذا هو السيّد الرّضي يقول في موارد كثيرة من نهج البلاغة في ترجمة بعض الكلمات: قال الرّضي كذا... (أنظر: العطاردي، ١٣٧٥هـــ.ش: ١٤).

و أمّا قول ابن أبى الحديد فإنّه يقول فى شرحه على الخطبة الشقشقية:

> حدّثنى شيخى، أبوالخير مصدّق بن شبيب الواسطي، في سنة ثلاث و ستمائة، قال: قرأت على الشيخ، أبي محمد عبدالله بن أحمد، المعروف بابن الخشّاب، و كان صاحب دعابة و هزل، قال: فقلت له: أتقول أنّها منحولة؟ فقال: لا والله لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدّق.
>
> قال: فقلت له: إنّ كثيراً من النّاس يقولون: إنّما من كلام الرضيّ- رحمه الله تعالى-، فقال: أنّى للرضي ولغير الرضيّ هذا النفَس و هذا الأسلوب، قد وقفنا على رسائل الرضيّ و عرفنا طريقته و فنّه في الكلام المنثور، و ما يقع مع هذا الكلام في خلّ ولا خمر.
>
> ثمّ قال: والله وقفت على هذه الخطبة في كتب صنّفت قبل أن يخلق الرّضي بمائتني سنة، و لقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، و أعرف خطوط مَن هو من العلماء و أهل الأدب قبل أن يخلق النّقيبُ أبو أحمد والد الرضيّ.
>
> قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخيّ، إمام البغداديين من المعتزلة، و كان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة. و وجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفربن قبّة أحد متكلّمي الإمامية و هو

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

الكتاب المشهور المعروف بكتاب «الإنصاف». و كان أبوجعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخيّ رحمه الله تعالى، و مات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضِيّ رحمه الله تعالى موجوداً. ابن ابي الحديد، ١٩٦٥م-١٣٨٥هـ، ج١: ٢٠٦-٢٠٥/ و أنظر: العطاردي، ١٣٧٥ هـ.ش:١٦).

إذن يبدو أنّ الدكتور ضيف قد استنتج من هذا القول، مسألة الإنتحال في النهج رغم أنّ هذه النتيجة تخالف حقيقة القول لابن أبي الحديد. و بما أنّ الآخرين من المرتابين- من القدماء- قد ذهبوا مذهب ابن خلّكان فاكتفينا هاهنا بالردّ على شبهات ابن خلّكان و الدكتور ضيف.

١-٢. الرواة الوضّاعين

العامل الآخر الّذي يعوّل عليه الدّكتور ضيف في دعواه حول الإنتحال في نهج البلاغة هو عامل الرواة الوضاعين. فإنّني لا أريد أن أدرس مسأله الرواة و الرواية في الأدب و الحديث، لأنّ الأستاذ الّدكتور«ناصرالدين الأسد» قد فصّل الكلام في هذا المجال و وضع النّقاط على الحروف(أنظر: الأسد، ١٩٦٩م: ٢٢٢-٢٥٤).

أمّا الأستاذ ضيف فيشير إلى دور هذه المسألة في انتحال نهج البلاغة مستنداً إلى قول صاحب «مروج الذهب»:

فقد أضاف قبله كثير من أرباب الهوى و فصحاء الشيعة خطباً و أقوالاً إلى علي بن أبي طالب [عليه السّلام]، يدّل على ذلك ما جاء في مروج الذّهب للمسعودي إذ يقول: «الّذي حفظ النّاسُ عن عليّ من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة و نيف و ثمانون خطبة يوردها على البديهة، تداول النّاس ذلك عنه قولاً و عملاً» (شوقي ضيف، ١٩٦٠م:٦٢٠)؛ نقله عن مروج الذهب (طبعة باريس، ٤/٤٣١/ و كذلك أنظر: المسعودي، بدون تاريخ، ج٢: ٤١٩).

الرّد على ضيف:

الأوّل: أنّ الدّكتور ضيف قد أشرف على رسالة الدّكتور، ناصرالدين الأسد، في مرحلة الدّكتورا، و أنّه تحدّث في تلك الرّسالة عن أهمّيّة الرواية عند العرب و طبقات الرّواة و مالهم فهناك السؤال: فكيف لا نستطيع أن نعتمد على الرواة الّذين نقلوا كلام عليّ عليه السّلام عن صدق و إخلاص مع أنّ العرب يعتمد على الرواة الذّين نقلوا تراثهم الشّعريّ في كثير من المجالات؟!

الثاني: إن كلام المسعودي في حفظ الناس خطباً كثيرة عن عليّ، كلمة حق أراد ضيف به كلاماً باطلاً؛ لأنّ الدّكتور ضيف، تأوّل كلام المسعودي إلى ما أحبّه رغم أنّ ألفاظه صريحة واضحة لا تدلّ على شيء إلاّ على أهمّية خطب عليّ عليه السّلام بين المسلمين و هذا ليس بعجيب؛ لأنّه كان أمير البيان فضلاً عما كان إمامهم و سيف الله و وصيّ رسوله (ص) (أنظر: مطهري، ١٣٦٨هـ.ش:٤).

الثالث: كيف يستطيع ضيف أن ينكر الرواة الّذين أخذوا على عاتقهم أهمّية تدوين كلام علي عليه السّلام، قبل أن يقوم به الشّريف الرضي؟! هؤلاء الرواة الّذين يبلغ عددهم أكثر من مائة و قد عُرفوا بالصدق و الأمانة؟! إذا كانوا كذلك فكيف لايعتقد ضيف إلى إنكار الرواية في الشعر الجاهلي؟!

الرابع: أنّ المسعوديّ يشير إلى أربعمائة و نيف و ثمانين خطبة عن الإمام عليه السّلام، رغم أنّ ما جمعها الشريف الرضي فيما بين أيدينا من نهج البلاغة لايتجاوز عن ٢٣٩ خطبة. فهذه المسألة تدلّ على كثرة الخطب للإمام عليه

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

السّلام و تداولها بين النّاس و قد رُوى مثل هذه العبارة في «مشاكلة الناس لزمانهم» (أنظر:ابن واضح اليعقوبي، بدون تاريخ:١٥).

الخامس: هل يُعقل أن يحفظ النّاس أشعار العابثين و الماجنين من أهل العصر الأمويّ و ينسوا خطب عليّ و يضيعوها ضياعاً مطلقاً و كان في زمانه و بشهادة خصومه من أفصح الخطباء؟!

و من الّذي يتصوّر أنّ الذّاكرة العربية تحفظ أشعار النصارى و اليهود و تَنسَى خُطب الرّجل الّذي ضُرِّجَ بدمه في يوم من أيام الفتن العمياء؟

و إذا جاز أن يحفظ النّاس ما دسّه المغرضون على أميرالمؤمنين فكيف يجوز أن ينسوا ما نُسب إليه على وجهٍ صحيح؟

و أين العقل الّذي يقبل القول بأنّ عليّاً لم يَحيَ بيانه إلاّ في الآثار المفتريات؟ أين و نحن نجزم بأنّ في الشيعة أنفسهم رجالاً من العرب الصّرحاء الّذين يؤذيهم الكذب و الإنتحال؟

لا مفرّ من الإعتراف بأنّ «نهج البلاغة» له أصل، و إلاّ فهو شاهد على أنّ الشيعة كانوا أقدر الناس على صياغة الكلام البليغ (مبارك، ٢٠٠٧م- ١٤٢٧هـ: ٢١٠-٢١١).

و هذا هو ابن ابي الحديد يردّ على مسألة الرواة الوضّاعين في نهج البلاغة قائلاً:

«كثير من أرباب الهوى يقولون: إنّ كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة، و ربّما عَزَوا بعضه إلى الرّضي أبي الحسن أو غيره؛ و هؤلاء أعمتِ العصبيّة أعينَهُم، فضلّوا عن نهج الواضح، و ركبوا بُنَيَّاتِ الطّريق [هي الطّرق الصّغار تتشعّب من الجادّة؛ و هي الترهات] ضلالاً بعيداً وقلّة معرفة بأساليب الكلام» (ابن أبي الحديد، ١٩٦١م، ج١٠: ١٢٧-١٢٨ و أيضاً أنظر: رأي المؤلّف في كتاب نهج البلاغة: ١٢٨-١٢٩).

٢-٢. الدلائل الدّاخلية

٢-١. الدّليل الأدبيّ:

ينكر الدّكتور ضيف أن يكون نهج البلاغة للإمام عليه السّلام و ذهب إلى أنّه من وضع الشريف الرضي و حجّته الأخرى في هذه العقيدة هي أنّ في الكتاب سجع، بينما ينهى الرّسول (ص) أصحابه عن السّجع في الكلام:

> و كأنّ الشريف الرضي، وجد مادّة صاغ منها كتابه، و هي مادّة بُنيت على السّجع، و في ذلك نفسه ما يدلّ على كذب نسبتها إلى عليّ؛ إذ ليس من الطّبيعی أن يسجع عليّ في خطابته، بينما ينهى الرّسول الكريم عن السّجع، و يتحاماه أبوبكر و عمر و عثمان في خطاباتهم (شوقی ضيف، ١٩٤٦م:٦٢).

الرّد عليه

الأوّل: حتّى لو افترضنا صحة كلامه فإنّ إصرتلك الأشياء لايقع على عاتق الشريف، و إنّما يقع على عواتق من سبقوه من الّذين طاب لهم أن يُنطقوا أميرالمؤمنين بأقوال رأوها تؤيّد مذهبهم بعض التأييد (مبارك، ٢٠٠٧م- ١٤٢٧هـ، ج١: ٢١١).

الثاني: صحيح أنّ الرّسول (ص) لم يكن يستخدم السجع في خطاباته -كما أشار إليه الدّكتور ضيف- لكنّه لاينكر وجود السّجع الّذي بُرئت ألفاظه من الإغراب والتعقيد و الإستكراه، بل ينفر ممّا اصطبغ بسجع الكهان في الجاهلية (أنظر: شوقي ضيف، ١٩٤٦م: ٥٧-٥٨). و من

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

المحقّق أنّ خطب الإمام عليه السّلام بريئة من هذا الضّعف و النّقص بما أتاح له مدرسة الإسلام من البلاغة و البيان.

الثالث: أنّ الإمام عليه السّلام ترعرع في بيت الوحي والنّبوّة و جعله الله سبحانه و تعالى غصناً من شجرة النّبوّة. والنّبيّ (ص) كان أفصح من نطق بالضاد، إذاً ليس بعجيب أن يتأثّر بالقرآن و كلام الرسول (ص) و يكون كلامه دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق.

الرابع: أنّ الدكتور ضيف قد أشار في ذلك المكان إلى كلام من الجاحظ يناقض و ينافي رأيه. الجاحظ يقول: «كانت الخطباء تتكلّم عند الخلفاء الرّاشدين، فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة» (شوقي ضيف، ١٩٤٦م: ٥٨. نقله عن؛ رسائل الجاحظ (طبعة الساسي) ص١٥٥).

إذاً نستشفّ من قول الجاحظ أن النّبي (ص) و أصحابه السّابقين قد خالفوا السّجع الّذى تشمّ منه رائحة التنبّو و التكهّن لا الشّريعة و العقيدة (أنظر: مبارك، ١٩٣٤م- ١٣٥٢هـ، ج١: ٦٤ / العطاردي، ١٣٧٥هـ.ش:١٨)

الخامس: إنّ طريقة نهج البلاغة و أسلوبه تختلف عن أسلوب الشّريف الرضي في جميع آثاره (مجازات الآثار النّبوية، و حقائق التأويل في متشابه التّنزيل، و تلخيص البيان عن مجازات القرآن، والخصائص، وأخبار قُضاة بغداد و...) و ما الذّي نراه حين نقرأ مؤلّفات الشريف؟ يجيب الدكتور زكي مبارك على هذا السؤال قائلاً:

«نجد رجلاً يُحيل على مباحثه الماضية بأسلوب يُشعرنا بأنّه قضى دهره و هو مشغول بالتأليف، نجد رجلاً يحدّثنا أنّ مؤلّفاته بلغت العشرات في موضوعات مختلفات، و تشهد قوّة تعبيره، و غزارة علمه بأنّ (المؤلّف) هو الشخصيّة الأصلية الّتي صدر ذلك الباحث الجليل» (مبارك،٢٠٠٧م- ١٤٢٧هـ، ج١: ١٩٧).

٢-٢. الدلائل الأخلاقية

لقد ذهب الدّكتور ضيف أنّ في نهج البلاغة تعريضاً بالصّحابة و يعتقد أن هذا بعيد عن أخلاق الإمام عليه السّلام. إنّه يقول مشيراً إلى مذهب «ابن حجر العسقلاني» في «لسان الميزان» و لعلّهما يشيران بهذا القول إلى الخطبة الشقشقية:

و يذهب مذهبه [مذهب الذّهبى في ميزان الإعتدال الذي يقول أنّ الشريف المرتضي هو الذي وضع نهج البلاغة] ابن حَجرالعسقلاني في لسان الميزان، يقول: «من طالع نهج البلاغة جزم بأنّه مكذوب على أميرالمؤمنين عليّ رضى الله عنه، ففيه السبُّ الصّراح والحطّ على السّيدين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، و فيه من التّناقض و الأشياء الرّكيكة و العبارات الّتي مَن له معرفة بنفس القرشيين الصّحابة و بنفس غيره ممّن بعدهم من المتأخّرين جزم بأنّ الكتاب أكثره باطل» (شوقي ضيف، ١٩٤٦م:٦٢. نقله عن؛ لسان الميزان (طبعة حيدرآباد) ٢٢٣/٤).

الردّ عليه

الأوّل: أنّ هذه الخطبة (الخطبة الشقشقية) لقد رويت أيضاً في مصادر نهج البلاغة قبل الشريف الرضي، بحيث يذكر صاحب «ما هو نهج البلاغة» عدد تلك الكتب تسعة مصادر (أنظر: الشهرستاني، ١٣٦٤هـ.ش:٧٦ و٦٠-٩٣؛ ١.أبوالقاسم البلخي (القرن الثالث)؛ نقلاً عن ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة، ج١: ٦٩، ٢. أبوجعفر ابن قبه الرازي (القرن الثالث) في كتابه، الأنصاف؛ نقلاً عن ابن ميثم البحرانى و ابن ابي الحديد فى شرحيهما على نهج البلاغة ٣. في مخطوطة على خطّ الوزير ابي الحسن على بن

فرات (سنة٣١٢هـ) نقلاً عن ابن ميثم البحراني في شرح البلاغة ٤. أحمدبن برقى (٢٧٤هـ) مؤلّف كتاب المحاسن، نقلاً عن رواية الشيخ الصدوق في كتابه «علل الشرايع» الباب؛ ١٢٢ طبع سنة ١٢٨٩هـ ٥. العالم المؤرخ عبدالعزيزيحيى الجلودي البصري (القرن الثالث) نقلاً عن الشيخ الصدوق في باب ٤٠٤ من كتابه «معانى الأخبار» طبع سنة ١٢٨٩ هـ ٦. العالم المحدّث، حسن بن عبدالله بن سعيدالعسكرى (القرن الثالث) في كتابه «المواعظ و الزواجر» نقلاً عن «القطيفى» في كتابه «الفرقة الناجية» و الشيخ الصّدوق في «معانى الأخبار»، الباب؛ ٤٠٤ ٧. العالم الكبير، المتكلم الشهير، الشيخ أبوعبدالله محمدبن محمّدابن نعمان، المعروف بالشيخ المفيد الذى كان تَتلمَذَ عنده الشّريف الرضي منذ طفولته، في كتابه، الإرشاد، ص١٣٥ ٨. ابوسعيدالمنصور، الوزيرالآبي، (القرن الرابع:٤٢١هـ) في كتابيه؛ نثرالدرر، و نزهة الأديب. ٩. العالم المعتزليّ، محمّدبن عبدالوهّاب، أبوعلى الجبائي (٣٠٣هـ)، نقلاً عن الشيخ إبراهيم القطيفى في كتابه «الفرقة النّاجية».

والجدير بالذكر أنّ صاحب العقدالفريد (نقلاًعن الشيخ إبراهيم القطيفى في كتابه، الفرقة الناجية) الّذي كان معروفاً في عداوته لعليّ عليه السّلام قد ذكر هذه الخطبة في الجزء الرابع لكنّها قدحذفت منه لأسباب ليست واضحة لدينا ولعلّ الشيخ القطيفى قدأخطأ في كلامه (الشهرستانى، ١٣٦٤هـ.ش: ٧٢/ جعفرى، بدون تاريخ:٨١)

إذن لايستطيع المنصف أن ينكر هذه الخطبة لعليّ عليه السّلام.

الثاني: الإمام عليه السّلام لم يكن مماشياً في سبيل الحقّ والعدالة بل كان صريح اللهجة و سديد القول في ذكر كلام الحق و لو كان مرّاً؛ لأنّه كان إمام المسلمين و رأى نفسه مسؤولاً أمام المجتمع و مصيره و إذ لم يكن كذلك لألقى حبل الخلافة على غاربها؛

«لَولا حُضُورُ الحَاضِرِ و قِيامُ الحُجَّة بوُجُودِ النَّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ اللهُ عَلَىَ العُلَمَاء الاّ يُقَارُّوا على كظَّة ظَالم و لا سَغبَ مَظلُوم لَألقيتُ حَبلَها عَلَى غَارِبهَا وَ لَسَقَيتُ آخرَها بكأسِ أَوَّلها و لاَ لألفَيتُم دُنياكم هذه أَزهَدَ من عَفطَهِ عَنزٍ.» (الإمام عليّ عليه السّلام، ١٣٧٩هـ.ش: خ٣/٤٨)

الثالث: لم يوّبخ الإمام عليه السّلام بعض المسلمين في هذه الخطبة فقط، بل هناك خطب أخرى يلوم الإمام عليه السّلام بعض أصحابه أو غيرهم من المسليمن لأسباب عديدة. على سبيل المثال أنّه يخاطب عمروبن العاص «بابن النابغة» والنابغة أمّه كانت إمراة قد اشتهرت بالفسق والفجور (أنظر: الإمام عليّ عليه السّلام، ١٣٧٩هـ.ش:خ٨٤/١٤٠) أو يقول فى سياسة معاوية الماكرة:

«وَاللهِ ما معاويةُ بأدهىَ مني، وَ لَكنَّهُ يَغدرُ و يَفجُرُ» (أنظر: نفس المصدر:خ٢٠٠/٤٢٢)

كما يشكو من أصحابه في خطبة الجهاد الّتي يذكرها الدّكتور ضيف نقلاً عن صاحب البيان و التبيين (٥٢/٢) و هو يسندها إلى الإمام عليه السّلام (أنظر: شوقي ضيف،١٤٢٧هـ :١٢٧):

«... يَا أشباهَ الرّجالِ وَ لا رِجالَ! حُلُومُ الأطفالِ، وَعُقولُ رَبّاتِ الحِجَالِ...» (الإمام عليّ عليه السّلام، ١٣٧٩ هـ.ش:خ٢٧/٧٦).

أو يقول فى استنفار النّاس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج موبّخاً أهل الكوفة:

«أُفٍّ لَكم! لَقَد سَئِمتُ عِتابَكم!...» (نفس المصدر: خ٣٤/٨٦)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

الرابع: إذاما تأمّلنا في هذه الخطبة فوجدنا أنّ أسلوبه لايختلف عن أسلوب الإمام في بقية الخطب بحيث نحسّ فيها كلّ الخصائص الّتي تثبت هذا الإفتراض إثباتاً قاطعاً.

الخامس: و هناك دلائل أخرى تشير إلى أنّ هذه الخطبة لعليّ (عليه السّلام) و هنا نستمع إلى قول ابن ميثم البحرانى حيث يحدّثنا عن تلك الدلائل قائلاً:

«إنّ هذه الخطبة و ما يشبهها ممّا يتضمّن شكايته في أمر الخلافة قد شكائه في هذا الأمر أصلاً، و منهم من نسب هذه الخطبة خاصّة إلى السيد الرّضي رحمه الله. و الحقّ أنّ ذلك إفراط في القول لأنّ المنافسة الّتي كانت بين الصحابة في أمرالخلافة معلومة بالضرورة لكلّ من سمع أخبارهم، و تشاجرهم في السقيفة، و تخلّف عليّ و وجوه بني هاشم عن البيعة أمر ظاهر لايدفعه إلاّ جاهل أو معاند، و إذا ثبت أنه عليه السّلام نافس في هذا الأمر، كان الظنّ غالباً بوجود الشكاية منه، و ان لم يسمع ذلك منه، فضلاً عن أن الشكاية بلغت مبلغ التواتر المعنويّ فى الألفاظ شهرتها، و كثرتها تعلم بالضرورة أنها لاتكون بأسرها كذباً بل لابدّ أن يصدق بعضها فثبتت فيه الشكاية على أنّ هذه الخطبة نقلها من يوثق به من الأدباء والعلماء قبل مولد الرّضيّ بمدّة و وجدت بها نسخة موثوقاً بنقلها، عليها خطّ الوزيرابن الفرات وكان قبل مولد الرضيّ بنيف و ستّين سنة و...» (ابن ميثم البحرانى، ١٤٠٨هـ.ق-١٣٦٦هـ.ش:٩١).

و هذا هو «صبحى الصالح» يقول عن أسباب ذلك النقد و التعريض مشيراً إلى نكته هامّة أخرى:

«ثمّ لابدّ لدارس «النّهج» أن يكوّن لنفسه صورة حقيقية عن تلك الحقبة من تاريخ المسلمين، ليستنبط البواعث النفسية التي حملت عليّاً [عليه السّلام] على الإكثار في خطبه من النقد والتعريض والتقريع، والتذمّر والشكوى، فقد عاندته الأيام، و عجّت خلافته عجيباً بالأحداث المريرة، وخابت آماله في تحقيق الإصلاح. فهل من عجب إذا استغرقت معاني النقد اللّاذع و التأنيب الجارح معظم خطبه و مناظراته، و حتّى رسائله إلى منافسيه والمتمرّدين عليه؟! (الصالح، بدون تاريخ:١٠).

و أمّا القول الفصل في نسبة النّهج إلى الإمام (عليه السّلام) فهو ما يقوله العلّامة، محمد جواد مغنية، صاحب «في ظلال نهج البلاغة»:

القول الفصل في نسبة النهج إلى الإمام هو أن ننظر و نحاكم ماجاء فيه على أساس كتاب الله، فما وافق منه الكتاب فهو من قول الإمام، لأنّه مع القرآن، والقرآن معه، و ماخالفه فلا علاقة له بالإمام من قريب أو بعيد. وقد تواتر عن أهل البيت [عليهم السّلام] قولهم:

«لاتقبلوا علينا خلاف القرآن، فإنّا إن تحدّثنا بموافقة القرآن والسنّة، إنّا عن الله، و عن رسوله نحدث، ولا نقول: قال فلان وفلان، فإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردّوه، إنّ لكلامنا حقيقة، و إنّ عليه لنوراً، فما لاحقيقة له، ولانورعليه ذاك قول الشّيطان».

و مامن كلمة في نهج البلاغة إلاّ ودلّ عليها القرآن بالتفصيل أوالإجمال مع العلم بأن كلام الله قد تفرّد بخصائص كثيرة لايشاركه فيها كلام البشر أيّا كان قائله، و هذه الحقيقة يدركها كلّ من «كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد» (مغنية، ١٩٧٩م، ج١: ٨-٩).

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

و أحسن وأدلّ من هذا هو قول الإمام (عليه السّلام) نفسه في فضائل عترة النّبيّ:

«هم مَوضِعُ سِرِّه، و مَلجَأُ أَمرِه، وَ عَيبَةُ عِلمِه، وَ مَوئِلُ حُكمِه، و كهُوُف كتُبِه، وَ جِبَالُ دِينِه، بِهِم أَقامَ انحِنَاءَ ظَهرِه، وَ أَذهَبَ ارتعَادَ فَرائِصِه...» (الإمام عليّ ۱۳۷۹هـ.ش:خ۲/۴۴)

و منه أيضاً حيث يشير إلى خصائص أهل البيت (عليهم السّلام):

«بِنَا اهتَدَيتُم فِي الظّلمَاءِ، وَ تَسَنَّمتُم ذُروَةَ العَلياءِ، وَ بِنا أَفجَرتُم عَنِ السِّرَارِ...» (نفس المصدر: خ۴/۴۸)

و إنّ خير مثال يصوّر لنا بلاغة أهل البيت (عليهم السّلام)، قوله:

«إِنَّا لَأُمَرَاءُ الكلاَمِ، وَفِينَا تَنشَّبَت عُرُوقُهُ، وَ عَلَينَا تَهَدَّلَت غُصُونُهُ» (نفس المصدر: خ۲۳۳: ۴۷۰)

النّتيجة

۱. بما أنّ خطب النهج أو أكثرها مدوّنة في مصادرالشيعة والسنّة من قبل أن يولد الشريف الرضي و دافع عنها العلماء من كلا الفريقين، فيبدو أن الدّكتور ضيف كان ينظر إلى النهج في ضوء عقيدة تمتاز بالنزعة الطّائفية المذهبيّة والعصبيّة الفكرية بحيث كأنّه صنع لنفسه سجناً من الظنّ والشك والعصبيّة و يعيش فيها عيشة راضية. في الحقيقة أنّ هذه الشبهات صدرت منه بدافع العصبية العمياء والجهل المتراكم في تعريف نهج البلاغة. والتعصب والعناد يورد-كمايقول العطاردي (۱۳۶۰هـ. ش: ۱۸) يورد الإنسان موارد الهلكة و يخرجه عن طريق الحقّ و الصّواب.

۲. في رأى الدّكتور ضيف، النهج إمّا أن يكون كله مصنوعاً منحولاً، أو بعضه- كما يقول ابن أبي الحديد و هو يردّ على هذه الشبهة: ابن ابي الحديد، ۱۹۶۵م،۱۳۸۵هـ، ج۱۰: ۱۲۸-۱۲۹-؛ والأوّل باطل بالضرورة، لأنّ صحة إسناد معظمه إلى أميرالمؤمنين (عليه السّلام) معلوم بالضرورة (التواتر في إسناده) بما نقله المؤرخون من الشيعة و السّنة. والثاني أيضاً باطل: لأنّ من قد أَنسَ بالكلام والخطابة و شَدَا طَرَفاً من علم البيان و صار له ذوق في هذا الباب؛ لابّد أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصيح، و بين الفصيح والأفصح، و بين الأصيل و المولّد، فإذا تأمّلنا في نهج البلاغة فنجده كلّه ماءً واحداً، و نَفَساً واحداً، و أسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الّذى ليس بعضٌ من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهيّة، وكالقرآن العزيز، أوّله كأوسطه، و أوسطه كآخره، و كلّ سورة منه، و كلّ آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفنّ والطريق والنظم لباقي الآيات والسّور؛ و لو كان بعض نهج البلاغة منحولاً و بعضه صحيحاً، لم يكن ذلك كذلك؛ فقد يظهر لنا بهذا البرهان الواضح ضلالُ مَن زعم أنّ هذا الكتاب أو بعضَه منحول إلى الإمام عليه السّلام. و هكذا حصحص الحقّ فظهر فساد قوله و بطلان رأيه حول النهج.

المصادر

[۱] القرآن الكريم.
[۲] الإمام عليّ عليه السّلام (۱۳۷۹ هـ.ش)؛ نهج البلاغة، ترجمة؛ محمّد دشتى، ط ۱۳، قم، الهادي.
[۳] آل كاشف الغطاء، هادي (۱۴۱۶ هـ.ق)؛ مدارك نهج البلاغة و دفع الشبهات عنه، بيروت، دارالأندلس.
[۴] آل ياسين، محمدحسين (۱۳۶۰ هـ.ش) المن نهج البلاغة؟ ترجمة: محمود عابدي، الطبعة الأولى، طهران، بنياد نهج البلاغة.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

[٥] أحمد أمين (١٩٦٩م)؛ فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، بيروت، دارالكتاب العربي.

[٦] الأسد، ناصرالدّين (١٩٦٩م)؛ مصادرالشعرالجاهلى و قيمتها التاريخيّة، الطبعة الرابعة، مصر، دارالمعارف.

[٧] ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّالدين عبدالحميد (١٩٦٥م-١٣٨٥هـ)؛ شرح نهج البلاغة، تحقيق؛ محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهره، دار إحياء الكتب العربية و منشورات مكتبة آيةالله العظمى المرعشي النّجفي بقم ١٤٠٤هـ.

[٨] ابن تَغرِي بَردي الأتابكي، جمال الدين أبوالمحاسن (بدون تاريخ)؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

[٩] ابن خلّكان، أبوالعبّاس، شمس الدين أحمدبن محمّدبن أبي بكر (١٣٦٤هـ.ش)؛ وفيات الأعيان، الطبعة الثانية، قم، منشورات الشريف الرضي.

[١٠] ابن العماد الحنبلي، أبوالفداء أبوالحيّ (بدون تاريخ)؛ شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، بيروت،دارالكتب الإسلامية.

[١١] ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي (١٤٠٨ هـ.ق- ١٣٦٦ هـ.ش)؛ اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط)، تحقيق؛ محمّدهادى الأمينى، الطبعة الأولى، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدّسة.

[١٢] ـــــــ، (بدون تاريخ)؛ شرح نهج البلاغة، منشورات دفتر نشرالكتاب.

[١٣] ابن واضح اليعقوبى، أحمدبن يعقوب بن جعفر (بدون تاريخ)؛ مشاكلة النّاس لزمانهم، الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتاب الجديد.

[١٤] اسفندیارى محمّد (١٣٨٠هـ.ش)؛ من نهج البلاغة الأول إلى نهج البلاغة الثاني، صحيفة گلستان قرآن، وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامين، العدد الجديد، رقم ٩٦ (ص٢٧-٣٥).

[١٥] بروكلمان، كارل (١٩٥٩م تاريخ المقدّمة ١٩٩٣م تاريخ الترجمة)؛ تاريخ الأدب العربيّ، ترجمة: عبدالحليم النّجّار، طبعة الهيئة المصرية العامّة للكتاب.

[١٦] البستاني، محمود (١٤١٣هـ.ق)؛ تاريخ الأدب العربيّ في ضوء المنهج الإسلامي، الطبعة الأولى، مشهد، آستان قدس رضوى.

[١٧] بيضون، لبيب (١٤٠٨هـ.ق)؛ تصنيف نهج البلاغة، الطبعة الثانية، طهران، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامى.

[١٨] الجاحظ، أبوعثمان عمروبن بحربن محبوب (١٩٩٨م- ١٤٠٨ هـ.ق)؛ البيان و التبيين، تحقيق؛ على أبوملحم، الطبعة الأولى، بيروت، دارومكتبة الهلال.

[١٩] جرجى زيدان (١٩١١-١٩١٤م)؛ تاريخ آداب اللغة العربية، راجعها و علق عليها؛ شوقي ضيف، القاهرة، دارالهلال.

[٢٠] جعفرى، سيّد محمّدمهدى (بدون تاريخ)؛ پژوهشى در اسناد و مدارك نهج البلاغة، طهران، قلم.

[٢١] ـــــــ، (١٣٨٠هـ.ش)؛ منابع و مستندات نهج البلاغة، مجله كتابدارى، دفتر ٣٦ (ص٧-٢٥).

[٢٢] الحسيني، عبدالزهراء (١٣٩٥ هـ.ق)؛ مصادر نهج البلاغة و أسانيدها، بيروت، مؤسسة أعلمى.

[٢٣] حنفى داود، حامد (١٤٠١هـ)؛ نهج البلاغة، توثيقه و نسبته إلى الإمام عليّ(عليه السّلام)، الطبعة الأولى، مؤسسة نهج البلاغة.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

[٢٤] الحكيمى، الشيخ محمدرضا (١٤١٥هـ.ق- هـ.ش)؛ سلونى قبل أن تفقدونى (من مختصات مولانا أميرالمؤمنين عليه السّلام، طبعة المكرر، طهران، الصدر.

[٢٥] دشتي، محمد (١٣٦٨هـ.ش)؛ مناهج البحث في اسناد نهجالبلاغة، الطبعة الأولى، قم، نشر إمام على عليه السّلام.

[٢٦] دلشاد طهرانى، مصطفى (١٣٨٥هـ.ش)؛ ماه مهرپرور (تربيت در نهج البلاغة؛ مقدّمة المؤلف) الطبعة الثالثة، طهران، دريا.

[٢٧] ـــــــ، (١٣٨٠هـ.ش)؛ شناخت نهج البلاغة، نشر گلستان قرآن، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الاعدد الجديد، رقم ٩٦ (ص٢١-١٤).

[٢٨] الزركلى، خيرالدين (١٩٩٠م)؛ الأعلام، الطبعة التاسعة، بيروت، دارالعلم للملايين.

[٢٩] الزيّات، أحمدحسن (٢٠٠٥م- ١٤٢٥هـ)؛ تاريخ الأدب العربى، الطبعة التاسعة، بيروت، دارالنهضة.

[٣٠] سبزيان پور، وحيد (٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ.ق)؛ تيّارات التّدليس في اسناد كلمات الإمام علي عليه السّلام من الجاحظ إلى لوئيس معلوف، مجلة العلوم الإنسانية، طهران، جامعة تربيت مدرس، العدد ١٥ (٣) (ص٧٧-٨٦).

[٣١] شوقي ضيف (١٤٢٧هـ.ق و تاريخ المقدّمة؛ ١٩٦٣)؛ تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامى)، الطبعة الثانية، قم، ذوى القربى.

[٣٢] ـــــــ، (١٩٤٦م:تاريخ المقدّمة)؛ الفنّ و مذاهبه في النثر العربي، الطبعة الثانية عشرة، مصر، دارالمعارف.

[٣٣] الشهرستاني، سيدهبة الدين (١٣٦٤هـ.ش)؛ ماهو نهج البلاغة، ترجمة: ميرزاده أهرى، مقدمه، تصحيح و تحشية، علي دواني، قم، اسلامي.

[٣٤] شيخي، حميد رضا (١٣٧٩هـ.ش)؛ آشنايي با نهج البلاغة، مقدمة: آيت الله محمدواعظ زاده خراسانى، الطبعة الأولى، طهران، سمت.

[٣٥] الصالح، صبحى (بدون تاريخ)؛ نهج البلاغة، قم، دارالهجرة.

[٣٦] الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك (١٩٦٢م- ١٣٨١هـ)؛ الوافي بالوفيات، الطبعة الثانية، باعتناء؛ هلموت ريتر، دارالنشر فرانزشتانيربقيسبادن.

[٣٧] عبده، محمد (١٩٩٠ م- ١٤١٠هـ)؛ شرح نهج البلاغة، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسه المعارف.

[٣٨] العطاردي، عزيزالله (١٣٧٥ هـ.ش)؛ شرح نهج البلاغة، الطبعة الأولى، طهران، بنياد نهج البلاغة وعطارد.

[٣٩] ـــــــ، (١٣٦٠هـ.ش)؛ تقديم و جمع كلام علي(ع)، الذكرى الألفية لنهج البلاغة، الطبعة الأولى، طهران، بنياد نهج البلاغة.

[٤٠] العقاد، عباس محمود (بدون تاريخ)؛ عبقرية الإمام علي رضى الله عنه.

[٤١] الفاخوري، حنّا (١٣٨٠هـ.ش)؛ تاريخ الأدب العربى، الطبعة الثانية، طهران، توس.

[٤٢] ـــــــ، (١٤٢٧هـ.ق- ١٣٨٥هـ.ش)؛ الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)؛ الطبعة الثانية، قم، ذوى القربى.

[٤٣] مبارك، زكى (١٩٣٤م- ١٣٥٢هـ)؛ النثر الفنّى في القرن الرابع، الطبعة الثانية، مصر، مطبعة السعادة بمصر.

[٤٤] ـــــــ، (٢٠٠٧م- ١٣٢٧هـ.ق)؛ عبقرية الشريف الرّضي، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

[٤٥] المحمودي، محمدباقر (١٣٩٧م-١٣٨٥هـ)؛ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات و مؤسسة التضامن الفكري.

[٤٦]المسعودى، أبوالحسن علي بن الحسين (بدون تاريخ)؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الثانية، إيران- قم، دارالهجرة.

[٤٧] مغنية، محمّدجواد (١٩٧٩م)؛ في ظلال نهج البلاغة، الطبعة الثالثة، بيروت، دارالعلم للملايين.

[٤٨] مطهرى، مرتضى (١٣٦٨هـ.ش)؛ سيرى در نهج البلاغة، الطبعة السادسة، طهران، صدرا.

[٤٩] الهاشمي الخوئي، ميرزا حبيب الله (بدون تاريخ)؛ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الطبعة الرابعة، قم، دارالهجرة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

در دفاع از نهج‌البلاغه و پاسخی به شبهات دکتر شوقی ضیف

تورج زینی‌وند[1]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/۷/۱۸ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/۱/۳۰

دکتر شوقی ضیف در برخی از آثارش بر این دیدگاه است که کتاب نهج البلاغه از آثار و نوشته های شریف رضی می باشد نه حضرت علی (علیه السلام). ایشان در این نظریهٔ سست برای اثبات برهان‌های خود و به عبارتی برای اثبات شبهات خویش، به ذکر دلایلی درون متنی و بیرون متنی روی آورده است.

نکتهٔ مهمی که آن نویسنده در نوشته‌هایش به روشنی بر آن تاکید ورزیده است این است که نهج‌البلاغه نوشتهٔ شریف رضی بوده، اما ایشان آن را به حضرت علی (علیه السلام) اسناد داده است. بنابراین، او با قاطعیت بر این عقیده است که جز با تکیه بر منابع نخستین، نمی توان به سخنان نقل شده از آن حضرت در نهج البلاغه موجود، اعتماد نمود.

این پژوهشگر در این گفتار برآن است تا در ژرفای اندیشه‌های دکتر شوقی ضیف به جستجو پرداخته و تصویر روشنی از حقیقت و درستی نهج البلاغه و باطل بودن اندیشه های آن مؤلف، ارائه دهد. حقیقتی که دکتر شوقی ضیف آن را در پرتو روش معروف «دکارت» وارونه تفسیر نموده است، از ویژگی‌های بارزی همچون، تردید، تناقض، سرگردانی، پراکنده گویی، دشمنی، عصبّیت و نداشتن برهان و استدلال، برخوردار است.

واژگان کلیدی: نهج البلاغه، شوقی ضیف، انتحال.

۱. استادیار دانشگاه رازی کرمانشاه